فقهاء الحسد

١٩/ ٥/ ١٤٣٦هـ

حين يُذكَر الفقه؛ فلا يكاد ينصرف الذهنُ إلا للفقه في الدين، وهو شيءٌ مفهوم، ولكنْ ثمةَ نوعٌ من الفقه يمنّ اللهُ به على مَن يشاء مِن عباده، وهو (الفقه بأدواء النفوس)، وكيفية التعامل معها، والقدرةِ على نزع فتيل تلك النار التي تشتعل في قلوبِ بعض الأنفس التي لا تَرى إلا المساوئ، ولا تعرف الإنصاف!

ومن صور هذا الفقه: التعامل مع الحُسّاد، إذْ لا يَسلَم ذو نعمة من حاسد، «وبحسب فضل الإنسان، وظهور النعمة عليه؛ يكون حسد الناس له، فإن كثُر فضلُه كثر حسّاده، وإن قلّ قلّوا؛ لأنّ ظهور الفضل يثير الحسد، وحدوثُ النعمة يضاعف الكمَد»[1].

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية إشارات إلى فقه التعامل مع هذا النوع من الناس، منها:

- العفو والصفح عن الحاسد، أو الإعراض عنه تمامًا، حتى يُظْهِر اللهُ المحسود عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ

(١) أدب الدنيا والدين (ص١٧٦).

لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[البقرة: ١٠٩].

وفي قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أظهَرُ دليلٍ على هذا المعنى، فلله درّه حين قال: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[يوسف:٩٢]، بل بالغ في الإعراض عن ذكر آثار حسدهم ولو بالإشارة، فقال: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾[يوسف:١٠٠].

وفي تعامل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع رأس النفاق عبدالله بن أُبيّ منهجٌ واضح في هذا، فإن ابنَ أبيّ لم يمنعه من القبول برسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والانقياد لأمره إلا الحسدُ، إذْ كان يترقب تسويدَه على أهل المدينة، فلما بُعث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرِقَ بدعوته؛ فعاداه، وآذاه، حتى أظهر اللهُ نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه.

- إشعارُ الحاسد تصريحًا أو تلميحًا -وهذا يختلف بحسب المقام- بأنه لا يمنعني من مقابلة آثار حسدك إلا خوفُ الله تعالى، وفي قصة ابْنَي آدم ما يشير إلى هذا: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[المائدة:٢٨-٢٩].

- الصبر على أذى الحاسد، وعدم شكواه، ولا يحدّث نفسَه بأذاه أصلًا! فما نُصِرَ محسودٌ على حاسده بمثل الصبر عليه، والتوكّلِ على الله؛ فهو من أقوى الأسباب الّتي يَدْفع بها العبدُ ما لا يُطيق من أذى الخلق

وظلمِهم وعدوانهم، ومن كان اللهُ حسبَه وكافِيه وواقيه فلا مَطمَع فيه لعدوّه.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾[الحج:٦٠] فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولًا؛ فكيف بمن لم يستوفِ شيئًا من حقه! بل بُغي عليه وهو صابر؟!(١).

■ الإحسان إلى الحاسد، وهذا- كما يقول ابن القيّم-: «من أصعب الأسباب على النفس، وأشقّها عليها، ولا يوفّق له إلّا مَن عظُم حظّه من الله»(٢)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[فصلت:٣٤-٣٦].

ومن الفقه في التعامل مع الحاسد: إفهامه -برسالة واضحة- أن الحسد لن يَضرني، ولن ينفعك، كما يعبّر عن ذلك موقفُ شُريحٍ القاضي من رجلٍ قال له: إني لأحسدك على ما أرى من صبرِك على الخصوم، ووقوفِك على غامض الحُكْم! فقال: ما نفعك اللهُ بذلك ولا ضرّني(٣).

وبالجملة، فإن الفقه في التعامل مع الناس مِنّةٌ إلهيةٌ، ومِنحةٌ ربانيةٌ، يوفَّق لها من اجتهد في تحقيق هذه القاعدة القرآنية من قواعد التعامل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٩).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٣).

(٣) أدب الدنيا والدين (ص٢٧٠).